

الآداب الأوربية وعلاقتها بالأدب العربي

د. الحسين سليم محسن⁽¹⁾

ملخص:

بيئة الأدب العربي هي الصحراء بكل مؤثراتها، وقد كانت موضوعاته مستمدة منها ومتأثرة بها، وهي بيئة غير متوافرة لدى الشعوب الأخرى، ومن ثم فإن التأثيرات الأدبية وغيرها تنتقل بالاحتكاك المباشر بين الإنسان وبيئة تلك الآداب، وقد غلبت على العرب في بداياتهم الحياة البدائية، ولكن بعد الإسلام وتأسيس الدولة، اختلفت طبيعة الحياة، وكذلك الاهتمامات، لذا غلب الطابع الشعري على الأدب العربي، ولكن بعد احتكاكهم بالشعوب الأخرى كالفرس والهنود واليونان، بدأ الاهتمام بالإنتاج الفكري لتلك الشعوب، حيث نقل الكثير من ذلك الإنتاج إلى العربية من خلال الترجمة التي كانت تتم في بعض العواصم الإسلامية، ومن أهمها بغداد حينذاك. وقد كان لبلاد الأندلس أثرها الكبير في نشر الثقافة والأدب العربي في أوروبا فقد كانت المدن الإسلامية في الأندلس منارات إشعاع فكري وعلمي وثقافي، وكان يفد إليها الأوروبيون للتحصيل العلمي.

في تلك المرحلة، اطلع أولئك الأوروبيون المهتمون على تلك الآداب، وانتقل التأثير مباشرة إلى إنتاجهم الأدبي والفكري، ومن الآثار الفكرية والأدبية العربية التي كان لها الأثر الكبير في آداب أوروبا الشعر الذي كان ينظمه الأندلسيون وقد صار الأوروبيون يهتمون بمواضيع مماثلة.

ومن الآثار الفلسفية التي انتقل أثرها إلى أوروبا قصة (حبي بن يقظان)، للأندلسي ابن طفيل الذي كانت له اهتمامات واسعة في مجالات عديدة، ومن المنافذ العربية على أوروبا صقلية، التي وقعت تحت تأثير الثقافة العربية أثناء الحكم العربي في المدة: 213 - 484 هـ، ومن هناك حدث التأثير في الأدب الإيطالي، وكان نشأة الشعر الوطني الذي لم يكن موجودا في باقي أوروبا. وقد كان لمؤسسات الترجمة اهتمامها باللغة العربية والأدب العربي، فهناك ترجمات نشأت لأسباب شخصية، ومنها انتقل التأثير إلى إنتاج أولئك المهتمين، وقد زاد الاهتمام بالترجمة من العربية إلى اللاتينية أثناء عصر النهضة، حيث تمت ترجمة كثير من الأعمال ذات المنشأ العربي، أو تلك المنقولة عن لغات أخرى.

ومن الآثار المهمة للثقافة العربية في اللغات والآداب الأوروبية التأثير المعجمي الذي يتجلى في وجود المئات إن لم تكن الآلاف من المفردات ذات الأصل العربي في المعاجم الأوربية، كالمعجم الإيطالي والفرنسي والإسباني والإنجليزي.

وبحسب دراسات فإنه لا يمكن إغفال تأثير "دانتي الإيطالي" بالأدب العربي في كتابه (الكوميديا الإلهية)، وكذلك تأثر بعض المستشرقين أو المستعربين بالأدب والفكر العربي، ومن أشهرهم "كارل بروكلمان" الذي أدى به اهتمامه إلى تأليف كتابه المهم (شمس العرب تسطع على الغرب).

ولا يمكن أن تتوقف التجاذبات والتأثيرات الفكرية بين الشعوب والحضارات، وعلى العرب الانتباه إلى وضعهم الفكري في هذا العالم ومدى تأثيرهم فيه؛ حتى لا يكونوا مستهلكين فقط، لما ينتجه الآخر فكريا وثقافيا.

¹ - قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية.



"الآداب الأوربية وعلاقتها بالأدب العربي"

1. مقدمة:

الأدب من أرقى مكونات الثقافة لأي أمة، ولقد كان للأدب العربي في الأندلس وصقلية تأثيره الكبير في آداب بلاد الأندلس خصوصا، ثم في أوروبا عموما، وذلك من خلال ما تمتعوا به من رقي في مجالات الحياة المختلفة، ومن بلاد الأندلس انطلق شعاع تأثير الأدب العربي إلى أماكن أخرى في أوروبا، وقد كانت نافذة صقلية والأندلس أهم نقاط إشعاع ومنفذين للثقافة العربية إلى أوروبا. أما أهم الأدوات التي انتقل بها هذا التأثير فهي الترجمة التي استمرت قرونا حتى بعد انتهاء الحكم العربي هناك (2).

أما في صقلية، فقد كان للثقافة العربية أثرها الكبير في المدة من 213 - 484 هـ وهي رحلة الحكم العربي للجزيرة، على الأدب الإيطالي ونشوء الشعر الوطني هناك، ولم يكن هناك وجود لهذا النوع من الشعر في باقي أوروبا.

من الآثار المهمة للأدب العربي بعضُ القصص العربية الفلسفية، ومنها قصة "حيي بن يقظان" للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل في غرناطة، وقد كان ابن طفيل هذا من طلاب الفلسفة، وكان واسع الاطلاع في عدة مجالات، ومنها الفلك والرياضيات والطب والشعر.

2. عصور تأثير الحضارة العربية في الأدب الأوروبي:

تفاوت مدى التأثير العربي في الأدب الأوربي بحسب العصور المختلفة وبحسب الظروف المتمثلة في العلاقات المباشرة بين العرب والأوروبيين، ولقد كان هناك عصرٌ شهد تأثيرا غير مباشر، ثم تلاه عصر الترجمة من العربية إلى اللاتينية، (حيث كانت هي اللغة السائدة في إيطاليا وجنوب أوروبا كفرنسا وإسبانيا، ويليه عصر الاستشراق،) (أو الاستعراب بحسب ما يسميه البعض)، وهي المرحلة التي كان أثناءها بعضُ البحاثة الأوروبيين يدرسون الثقافات المختلفة للشعوب العربية، وهي أيضا المرحلة التي شهدت قمة التأثير العربي، وفي العصر الأول كانت البعثات العلمية من أوروبا إلى الأندلس، أما في العصر الثاني فقد نشطت حركة الترجمة، حيث أسس معهد للترجمة في طليطلة ببلاد الأندلس في منتصف القرن الثاني عشر تقريبا.

ومن التأثيرات المهمة جدا التي مازالت واضحة إلى اليوم، تأثر اللغة الإسبانية ودخول آلاف المفردات إليها، وهي لا تزال إلى يومنا هذا في المعجم الإسباني⁽³⁾، كما لا يخفى تأثر اللغة الإنجليزية بالمعجم العربي والمعجم

² المعموري: 2011.

³ الخفاجي: 2012.

الفرنسي والإيطالي، وهناك كثيرٌ من الأعمال التي ترصد هذه التأثيرات⁽⁴⁾، وهذا ما يحدث غالباً، حيث تستعير اللغات والثقافات فيما بينها، وهو أمر طبيعي جداً لا يتوقف بين اللغات المختلفة، وكل هذا أمر طبيعي يحدث في حالات الاحتكاك بين الثقافات المتجاورة، وتظهر هذه الآثار في انتقال المفردات بين اللغات، وهي الظاهرة المعروفة "بالاقتراض".

ومن ضمن ما وقع أن البعثات العلمية كانت تفد من أوروبا إلى بلاد الإسلام، ومنها الأندلس، وقد أنشئت بعض المؤسسات العلمية مثل معهد الترجمة، الذي أسسه مطران طليطلة: (650 – 861)، حيث نشطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية⁽⁵⁾.

وقد أُلِّفت في القرن التاسع عشر، بل حتى في القرن العشرين الكتب والبحوث المتعلقة بتأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية والبرتغالية، حيث استعارت هاتان اللغتان من العربية عديد المفردات في كثير من المجالات كالموسيقى والملاحة والزراعة والمعادن، وقد كانت هذه المفردات من الكثرة، بحيث أُلِّفت لها القواميس⁽⁶⁾، ولم يقتصر التأثير العربي في هاتين اللغتين فقط، بل امتد ليشمل لغات أخرى، كالإنجليزية والفرنسية، وذلك بسبب الاحتكاك الشديد الذي وقع بين أهل هذه اللغات بأشكال مختلفة، شعبياً ورسماً.

ولا يخفى أن الفتوحات الإسلامية كان لها أثرها الفاعل في هذا المجال، ولم يقتصر على غرب أوروبا فقط، بل حتى في شرقها، حيث امتد الإسلام هناك عبر القسطنطينية البوابة الشرقية لأوروبا، ومن الطبيعي أن تلقى العربية اهتماماً كبيراً بوصفها لغة الدين الجديد لشعوب تلك المناطق.

وهناك جانب آخر للتفاعل العربي الأوروبي، من خلال النشاطات التجارية التي كانت تتم عبر موانئ البحر المتوسط، وما يمثله هذا النشاط من أهمية بالغة في طبيعة التفاعل الثقافي بين شعوب الإقليم المتوسطي.

3. علاقة الأدب العربي بالأدب الأوربي:

لا تذكر المصادر شيئاً في الغالب عن أي أثر للتبادل الثقافي بين العرب والأوروبيين، إلا من خلال بلاد الأندلس، حيث كانت الحضارة الإسلامية متمركزة هناك، وبالتأكيد فقد امتد أثر تلك الحضارة إلى عديد من المناطق المجاورة، فقد كانت الأندلس في حينها قبلةً لكثير من أهل تلك البلاد، طلباً للتجارة والعلم والاستشفاء؛ بل حتى السياحة نظراً لأن المناطق الجنوبية كانت أكثر دفئاً من المناطق الشمالية.

وبحسب بعض الدارسين فإن (الكوميديا الإلهية) للأديب الإيطالي (دانتي) تعد من الأعمال التي يظهر فيها تأثير الأدب العربي واضحاً، حيث كان من مصادرها "رسالة الغفران"، لأبي العلاء المعري، وقصة الإسراء والمعراج من أهم مصادرها، ومن الأعمال العربية التي يظهر أثرها في الآداب الأوروبية حكايات ألف ليلة وليلة،

⁴ الخفاجي: 2012.

⁵ الخفاجي: 2012.

⁶ الخفاجي: 2012.



(وهي تسمى في الإنجليزية بالليالي العربية: Arab Nights)، وقد كانت موضوع دراسة وبحث، كما يظهر الأثر العربي في شعر (التروبادور) الإسباني بشعر الغزل العربي، وهناك كذلك تأثر القصة والرواية الأوربية (7)، لا يمكن إنكار التأثير العربي في الثقافات الأخرى، كما لا يمكن إنكار تأثير تلك الثقافات وغيرها في العربية. وهناك تأثير متواصل بين العرب وجيرانهم الأوربيين، وهذا التأثير يشمل وجوها عدة من الحياة، أبرزها المجال الأدبي، وكما كان للعرب تأثيرهم، فللأوربيين تأثيرهم في العرب، فقد نشأت أجناس أدبية لدى العرب لم تكن لديهم من قبل، مثل: المسرحية، والرواية، والقصة القصيرة، والأقصوصة، والقصة الشعرية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. بل شمل أيضا انتشار تيارات أدبية كالرومانسية والواقعية والواقعية الاشتراكية والرمزية والسريالية، أما على الصعيد الفكري فقد انتقلت إلى الأدب العربي اتجاهات فكرية ذات منشأ أوروبي، كالماركسية والوجودية والليبرالية (8).

وتبدأ الحضارات في التأثير بغيرها عند بلوغها شأواً بعيداً في التقدم، ومن ثمَّ يبدأ إشعاعها نحو المحيط، فيسعى أولئك المعجبون والمبهورون بها إلى الاقتباس منها والأخذ عنها والاستفادة مما وصلت إليه، وهذا طبيعي جدا في جميع الحضارات.

لقد استطاع العرب بعد أن صارت لهم دولة انضوت تحت لوائها كثير من الأمم الأخرى تطوير آدابهم وأعمالهم الفكرية، بعد أن اهتموا اهتماماً كبيراً بنقل وترجمة إبداعات وآداب وأعمال الأمم الأخرى إلى العربية، وقد بلغوا ذروة ذلك «مع بلوغ العصر العباسي ذروته في العلوم والآداب، وشهد ترجمة لكثير من الكتب من اللغات الأجنبية كالهندية والفارسية إلى اللغة العربية، ومن اللغة العربية بوصفها لغة الحضارة، فقد ترجمت الكتب العربية إلى الانكليزية والفرنسية والإيطالية، ومنها "كليلة ودمنة"، لابن المقفع، و"ألف ليلة وليلة"، و"رسالة الغفران"، لأبي العلاء المعري وغيرها" (9).

وهناك كثير من الأعمال الأوربية التي تأثرت بالأعمال العربية، مثل "رسالة الغفران"، ومنها بعض القصص التي تتحدث عن الحياة الاجتماعية في اسبانيا، وكان هناك بعض المستشرقين الألمان وفي مقدمتهم "جوته" الذي ألف عشرات الكتب، وهناك أيضا "بروكلمان" وكتابه الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب"، الذي تحدث فيه عما قدمه العرب للحضارة الإنسانية.

إن التبادل الحضاري والثقافي قائم بين الأمم، وأسباب أخرى أهمها مرحلة الاستعمار، وخضوع الدول العربية إلى سلطة المستعمرين، ومن ذلك أن عشرات الآلاف من المخطوطات العربية تقبع الآن في المكتبات الغربية، وهو يمثل رصيذا ثقافيا عالميا، وقد قامت الجامعة العربية وبعض الدول العربية باسترجاع بعض هذه

⁷ الخفاجي: 2012.

⁸ الخفاجي: 2012.

⁹ شبيب: 2017.

المخطوطات، إلا أن هناك كثيراً لا يزال هناك، إن من واجب الجامعة العربية والمؤسسات التابعة لها ذات العلاقة أن تسعى نحو استرجاع هذا الزخم العظيم، للاستفادة منه بدل تركه بعيداً في أيدي غيرهم. وبلغ من اهتمام الأوروبيين باللغة العربية أن جعلوها من ضمن التخصصات العلمية بجامعةهم، مثل جامعة "كيمبردج" وجامعة "أوكسفورد" اللتين أسستا كراسي للغة العربية في حوالي: عام 1636⁽¹⁰⁾، وقد كان الشعر العربي محط اهتمام الأوروبيين.

وفي القرن العشرين تأثر كثيرٌ من الكتاب والأدباء العرب بالأسلوب الغربي في الكتابة، ومن هؤلاء نجيب محفوظ وجبران خليل جبران، وهذا راجع إلى عوامل مختلفة، منها: الاطلاع والقراءة، ومنها: المهاجرة إلى مواطن تلك الآداب؛ لأسباب مختلفة، منها: الدراسة، والعمل⁽¹¹⁾.

ومن تأثير الأدب العربي في الأندلس أن اهتم به حتى اليهود الذين كانوا هناك، فترجموا منه إلى لغتهم العبرية، وبذلك احتفظوا بكثير منه في صورة مترجمة؛ حتى بعد أن ضاعت مصادره الأصلية⁽¹²⁾.

4. أثر "ألف ليلة وليلة":

من آثار الأدب العربي في الآداب الأوروبية ما نراه من تأثير ألف ليلة وليلة التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية، ومنها الإنجليزية، تحت عنوان: (الليالي العربية) أو (الليالي)، ومن أوضح الكُتُاب الإنجليز الذين تأثروا بهذه الليالي تشارلز ديكنز⁽¹³⁾.

لقد وصل التأثير العربي إلى بلاد الإنجليز من خلال لغات البحر المتوسط، ومنها الفرنسية والإسبانية والإيطالية، وذلك بدءاً من القرن الرابع عشر.

5. الأمثال والتعابير الاصطلاحية:

تمثل الأمثال والتعابير الاصطلاحية جانبا مهما في اللغات والثقافات، وهي نتاج خبرات على مدى أجيال عديدة، وهي تعكس حياة وثقافة أهل تلك اللغات، من الآثار العربية في الأدب الأوربي انتقال الأمثال والتعابير التي اصطلح عليها، وهي تعبر عن جانب ثقافي مهم، وربما لا تتطابق كثيرا مع واقع الشعوب التي تنقلها إليها، لكنها تنقل صورا فكرية متقاربة ومتشابهة، وبذلك فهي تحمل تجربة إنسانية يستفاد بها كثيرا، ولهذا السبب وغيره ألفت عديد من الكتب التي تجمع هذه المواد.

6. أثر الترجمة في نقل الأدب :

على مدى قرون كان للترجمة الدور الأبرز في نقل التراث الإنساني بين الحضارات، ولولا الترجمة ما عرفت

¹⁰ ديفيز: 2016.

¹¹ ديفيز: 2016.

¹² مؤنس: دت.

¹³ فاضل: 2016.



الشعوب آداب بعضها بعضاً، بل إن الترجمة أسهمت في نقل سمات ثقافية وأدبية من لغة إلى أخرى، وهي أيضاً تُسهم في نقل الأفكار والعلوم من حضارة إلى أخرى، فالترجمة بين العربية واللغات الأوروبية أسهمت في ظهور النص النثري، بعد أن كان النص الشعري هو السائد، وقد (أخذ النثر العربي يغزو مجالاً جديداً، هو مجال الرواية والقصة)، وكما لا يخفى، فالمترجمون لهم قصب السبق في الاطلاع على الأعمال الأدبية في اللغات الأخرى، وهذا ما يكون له أثرٌ في ظهور نشاط أدبي لهم، كنتيجة لذلك الاطلاع⁽¹⁴⁾.

7. أثر الهجرات العربية:

هناك عامل أساسي في رحلة التأثير المتبادل بين الأدب العربي والأدب الغربي، وهو عامل الهجرة، حيث رحل كثير من العرب إلى أوروبا لأسباب مختلفة، ومنها الرحلات العلمية أو التجارة، وهناك من استوطن وصار من أهل تلك البلاد، وهؤلاء، وأمثالهم، عندما ينتقلون إلى مكان آخر فهم يأخذون معهم لغتهم وثقافتهم، والمترجمون عندما يترجمون، يقومون بعملية النقل، غالباً؛ لأسباب شخصية، فهم لا يعملون تحت مظلة مؤسسية.

ليس من الضروري جداً أن يكون هناك تقارب كبير ما بين الأدب العربي وغيره من الآداب، وإن حدث ذلك فإنما هو لأن الأدب إنتاج إنساني بحت، والنفس الإنسانية هي ذاتها هنا أو هناك.

8. الخاتمة:

لا يمكن إيفاء هذا الجانب حقه في بضع صفحات، فهو يحتاج إلى جهدٍ أكبر، ووقت أطول، وربما كان هناك كثيرٌ مما يخفى علينا من تلك التأثيرات لأسباب متنوعة، ومنها أن العصور الأخيرة تُعدُّ عصور انحيار وتخلف وانحطاط في هذا الجانب.

وعلى أي حال فإن هناك نقصاً ملحوظاً في المصادر والمراجع في هذا الشأن، وهو ما يرهق كاهل الباحث.

¹⁴ فاضل: 2016.



9. المراجع:

1. الخفاجي، أحمد رحيم كريم، (2012) علاقة الأدب العربي بالآداب الأوروبية، العراق، جامعة بابل.
<http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=8&cid=30524>
2. المعموري، يسي سلمان درويش. (2011) أثر الأدب الأندلسي في الآداب الأوروبية، العراق: جامعة بابل.
<http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=19&lcid=24418>
3. ديفز، دنيس جونسون. (2016) تأثير الأدب العربي على الغرب. البيان:
<http://www.albayan.ae/opinions/articles/2016-04-10-1.2614713>
4. شبيب، عبد القادر. (2017). تأثير الأدب العربي في الآداب الأجنبية. سوريا: موقع اكتشف سورية.
<http://www.discover-syria.com/news/13481>
5. شهد، زهير شليبه، (2017)، تأثيرات الأدب الغربي على الأدب العربي، مجلة العالم، العدد 1712.
<http://www.alaalem.com/index.php?aa=news&id22=16949>
6. فاضل، جهاد. (2016) التأثير المتبادل بين الأدب العربي والآداب الأخرى.
<http://www.raya.com/home/print/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/0df47b10-a9dc-49a2-b684-a8ea6b9d529e>
7. مؤنس، حسين، (ترجمة). (د ت) تاريخ الفكر الأندلسي، تأليف آنخل جنثالث، أندلسي (موقع):
<http://andalushistory.com>